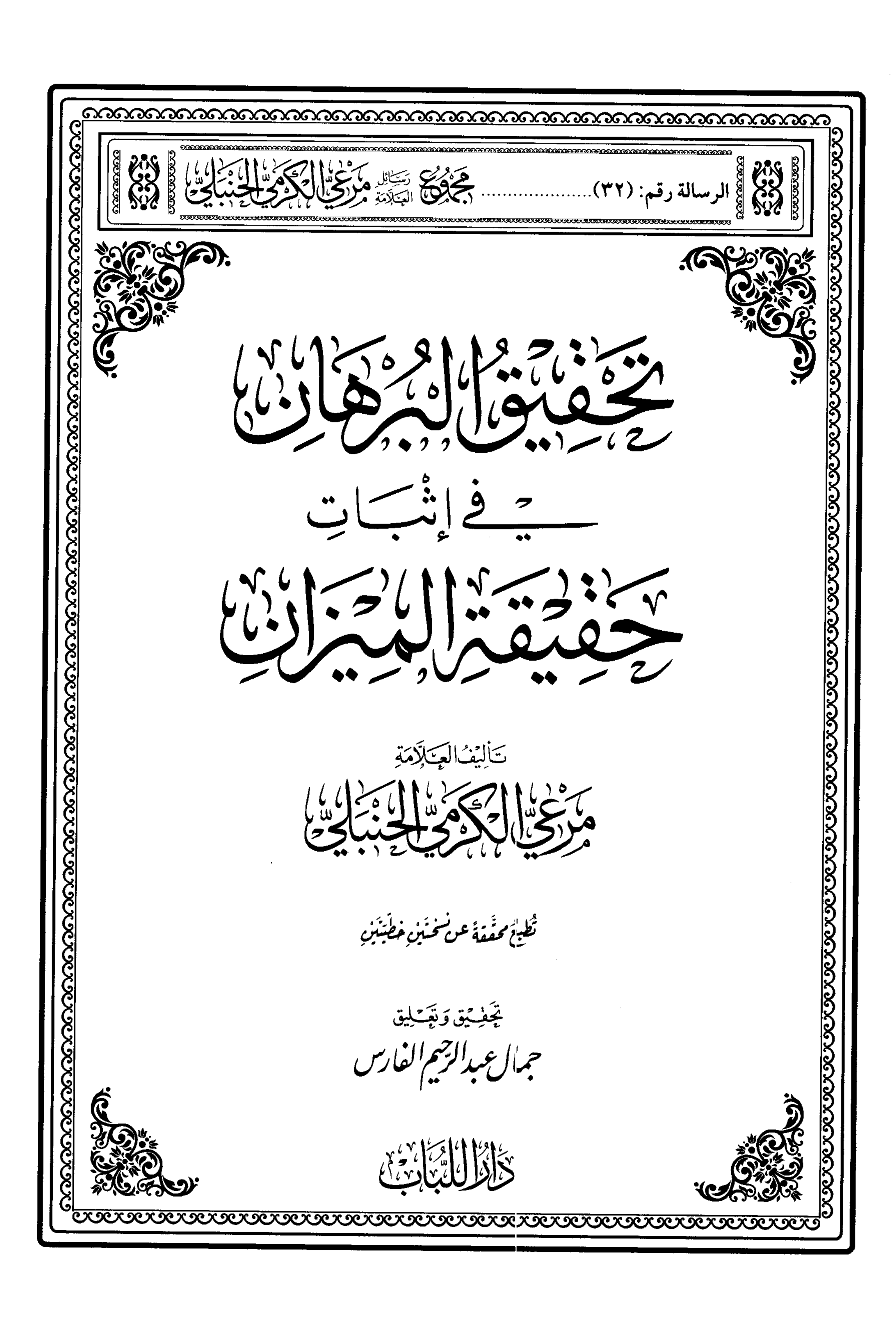


الرسالة رقم: (٣٢)........ مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي

تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان

تأليف العلامة

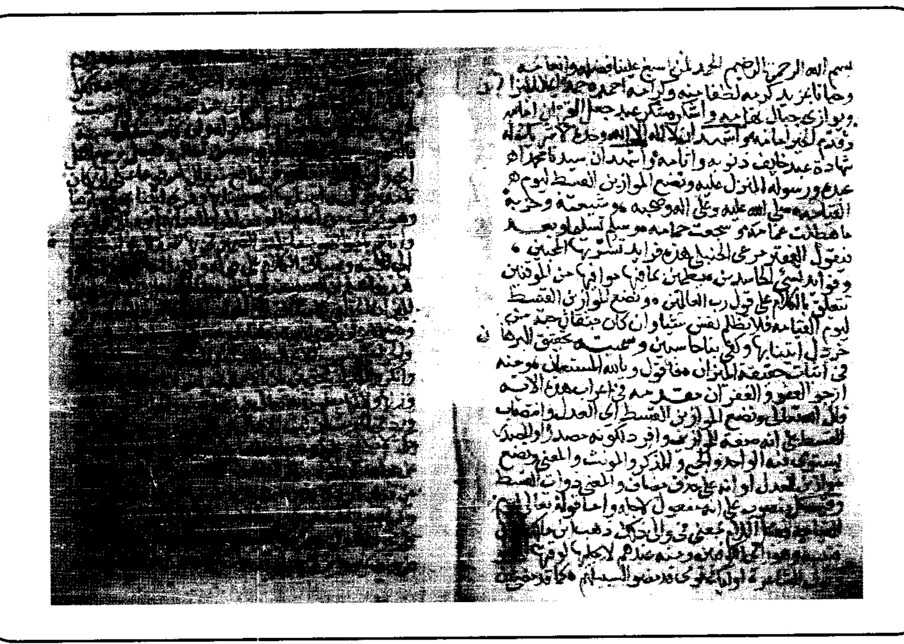
مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة عن نسختين خطيتين

تحقيق وتعليق

جمال عبد الرحيم الفارس

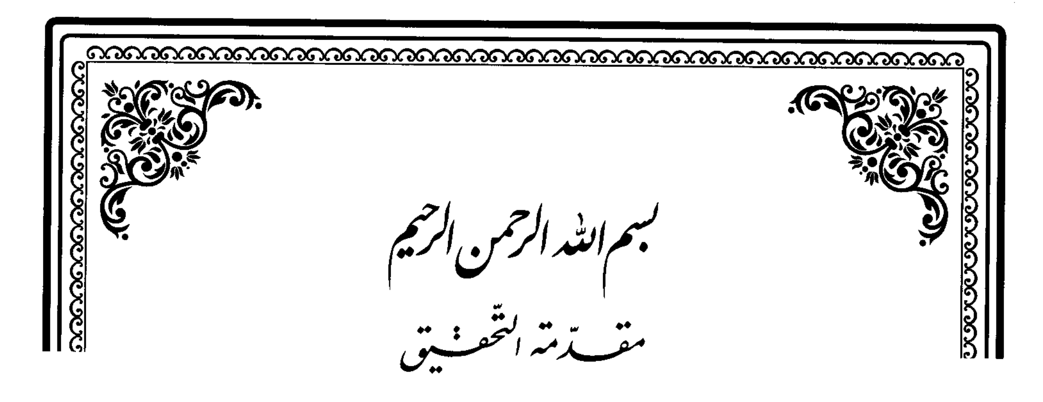
دار اللباب


بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أسبغ علينا فضله وإنعامه
وحبانا بمزيد كرمه لطفا منه وكرامه أحمده حمدا يملأ الميزان
ويوازي جبال تهامه وأشكره شكر عبد جعل الشكر إمامه
وقدم الخير أمامه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة عبد خائف ذنوبه وآثامه وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله المنزل عليه ونضع الموازين القسط ليوم
القيامه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه
ما هطلت غمامه وسجعت حمامه وسلم تسليما وبعد
فيقول الفقير مرعي الحنبلي هذه فرائد تسر المحبين
وفوائد تسيء الحاسدين مبطلين بما فيها من الموافقين
تتعلق بالكلام على قول رب العالمين ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من
خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وسميته تحقيق البرهان في
إثبات حقيقة الميزان فأقول وبالله المستعان ومنه
أرجو العفو والغفران مقدمة في إعراب هذه الآية
قال الله تعالى ونضع الموازين القسط أي العدل وانتصاب
القسط على أنه صفة للموازين وأفرد لكونه مصدرا والمصدر
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى ونضع
الموازين العدل أو أنه على حذف مضاف والمعنى ذوات القسط

مكتبة الجامعة الإسلامية (ج)

كتاب تحقيق
البرهان في إثبات حقيقة الميزان للفقير مرعي الحنبلي
الحمد لمن أسبغ علينا فضله وإنعامه وحبانا بمزيد كرمه
لطفا منه وكرامه أحمده حمدا يملأ الميزان ويوازي جبال
تهامه وأشكره شكر عبد جعل الشكر إمامه وقدم الخير أمامه
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خائف
ذنوبه وآثامه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
المنزل عليه ونضع الموازين القسط ليوم القيامة صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه ما هطلت غمامه
وسجعت حمامه وسلم تسليما وبعد فيقول الفقير
مرعي الحنبلي هذه فرائد تسر المحبين وفوائد تسيء الحاسدين
مبطلين بما فيها من الموافقين متعلق بالكلام على
قول رب العالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى
بنا حاسبين وسميته تحقيق البرهان في إثبات حقيقة
الميزان فأقول وبالله المستعان ومنه أرجو العفو والغفران
مقدمة في إعراب مشكل هذه الآية قال الله تعالى ونضع الموازين
القسط أي العدل وانتصاب القسط على أنه صفة للموازين وأفرد

مكتبة جمعة الماجد (م)



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.

وبعدُ:

فقد أَثنى اللهُ سبحانه وتعالى على الَّذينَ يُؤمنونَ بالغيبِ، في آياتٍ عدَّةٍ من كتابهِ الكريمِ، وكان منَ الأمورِ الغيبيَّة الَّتي أثبتها القرآنُ وجاءتْ في السُّنَّة: الميزان، وقد اختُلفَ فيه على قولَيْن:

الأوَّل: أنَّه الميزان الذي يعرفه النَّاسُ؛ فتُوزَنُ الحسناتُ والسَّيِّئاتُ، وترجحُ إحدى الكفَّتين على الأخرى.

الثَّاني: أنَّه ليسَ ثمَّة ميزانٌ، وإنَّما المرادُ بالوزن: العدلُ في محاسبةِ النَّاس، وبثقل الموازين وخفَّتها: كثرةُ الحسناتِ وقلَّتُها. وبهذا القول أخذتِ المعتزلة.

والقول الأوَّل هو قولُ العلماءِ عامةً، قال البيضاويُّ: «والجمهورُ على أنَّ صحائفَ الأعمالِ تُوزن بميزانٍ له لسانٌ وكفَّتان، يَنظرُ إليه الخلائقُ؛ إظهارًا للمَعدلةِ وقطعًا للمَعذرةِ، كما يسأَلُهم عن أعمالهم فتعترفُ بها ألسنتُهم، وتَشهدُ بها جوارحُهم»(١).

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٦).

وقد استحسنَ القُرطبيُّ قولَ القشيريِّ في رد القول الثاني، ونقله عنه في «تفسيره»، ونصه: «لو حُمِلَ الميزانُ على هذا فليحمل الصِّراط على الدِّين الحقِّ، والجنَّةُ والنَّارُ على ما يَرِدُ على الأرواحِ دُونَ الأجسادِ، والشَّياطينُ والجنُّ على الأخلاقِ المذمُومَةِ، والملائِكةُ على القُوَى المحمُودَةِ. وقدْ أجمعتِ الأُمَّةُ فِي الصَّدْرِ الأوَّلِ على الأَخذِ بهذِهِ الظَّواهِرِ مِنْ غيرِ تَأويلٍ، وإذا أجمعوا على منعِ التَّأويلِ وَجَبَ الأخذُ بِالظَّاهِرِ، وصَارتْ هَذهِ الظَّواهرُ نُصُوصًا»[1].

وقال ابنُ أبي العزِّ الحنفيُّ: «فثبتَ وزنُ الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أنَّ الميزان له كفَّتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيَّات، فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصَّادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسطِ ليوم القيامة كما أخبر الشَّارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النُّصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفوَّال! وما أحراه بأن يكون مِنَ الَّذين لا يُقيمُ اللهُ لهم يومَ القيامةِ وزنًا، ولو لم يكن مِنَ الحكمةِ في وزنِ الأعمالِ إلَّا ظهور عدلِه سبحانَه لجميعِ عبادِه، فـ«لا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ منَ اللهِ، مِنْ أجلِ ذلكَ أرسلَ الرُّسلَ مبشِّرين ومنذرين»[2]، فكيفَ ووراءَ ذلكَ مِنَ الحِكَمِ ما لا اطِّلاعَ لنا عليه»[3].

وهذه رسالةٌ صغيرةٌ في عددِ أوراقِها، كبيرةٌ فيما احتوته من العلوم

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٦٥).

(٢) هذا لفظ حديث رواه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٦١٣).

والمعارف، أفردَها مصنِّفُها العلامةُ الكرميُّ رحمه الله لمبحثِ الميزان، وبيانِ المذهبِ الرَّاجحِ فيه، ثمَّ ذَكَرَ ما يتبعُ ذلك مِنْ وَصْفِ الميزانِ، وعِظَمِهِ، وصاحبِهِ، وعددِ الموازين، والخلافِ في الموزونِ، والحكمةِ مِنْ وزنِ الأعمالِ، وبيَّنَ أنَّ الإيمانَ والبكاءَ من خشيةِ اللهِ لا يُوزَن، وكذا الأعمال غير المخلصة لا تُوزَن.

كلُّ ذلك وغيره مستدلًّا بالكتاب العزيز، والأحاديثِ النَّبويَّة الشَّريفة، وأقوالِ الصَّحابة، ومستشهدًا بكلام المفسِّرين، وناقلًا كلامَ العلماءِ، ولم ينسَ أن يُدْليَ بدلوه فيما يُحتاج إليه، معقِّبًا ومستدركًا ومعلِّلًا ومصحِّحًا.

كما عُني فيها باللُّغةِ والإعراب، فبدأ رسالَته بإعرابِ الآيةِ موطن البحثِ، وبيَّنَ اختلافَ المعنى باختلاف الإعراب.

ومِنَ الكتبِ الَّتي نقلَ المصنِّف عنها في هذه الرِّسالة: تفسير الثَّعلبي، والكشاف، للزَّمخشري. والتفسير الكبير للرَّازي. والدرَّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للغزالي. وبحر الكلام، للنَّسفي. والتذكرة، والجامع لأحكام القرآن، كلاهما للقرطبي.

وغالب ما ذكره المصنِّف رحمه الله من الأحاديث صحيح أو حسن، وهناك بعض الأحاديث والآثار الضَّعيفة، قد بيَّناها في موضعها.

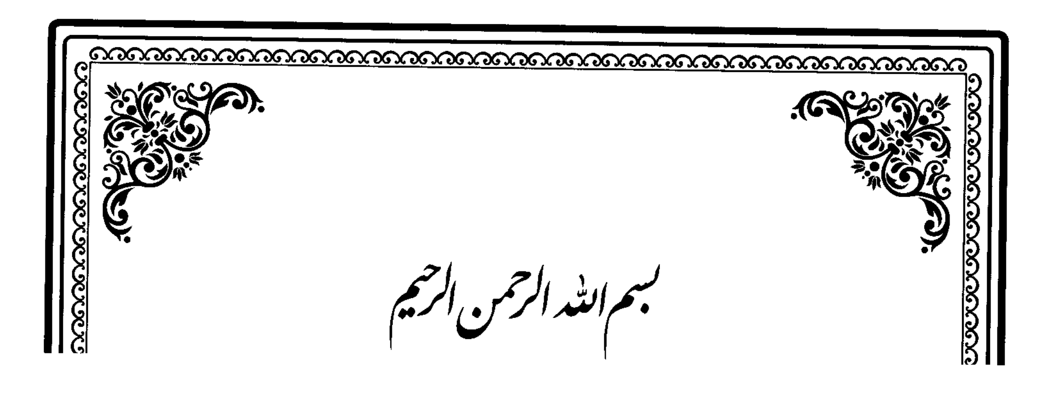
ولم يبوِّب المصنِّف رسالتَه هذه ولم يقسِّمها، ولذا وضعنا لها عناوينَ فرعيَّةً تدلُّ على المضمونِ، وجعلناها بين معكوفتين؛ تنبيهًا أنَّها زيادةٌ على أصلِ هذه الرِّسالة.

وقـد اعتمدنا في تحقيـقِ هذه الرِّسـالةِ على نُسـختَينِ خطِّيَّتينِ: الأولى: نسـخةُ الجامعـةِ الإسـلاميَّة، ورمـز لهـا بــ(ج)، وفيها بعـض السـقوطات. والثانية: نسـخةُ مركـز جمعـة الماجـد، ورمـز لهـا بــ(م)، وهـي نسـخة أتـمُّ مـن النسـخة السَّـابقة، وخطهـا أوضح. وكِلا النُّسـختَيْنِ منقولتانِ عن نسـخةِ المصنِّف، كما أشـار النَّاسـخ إلى ذلـك فـي نهايتها.

نسأل الله تعالى التَّوفيق والهداية، والحمد لله ربِّ العالمين.

المحقق

***



الحَمدُ لمَنْ أسبَغَ عَلَينا فَضْلَهُ ونِعَمَه[1]، وحَبَانا بمَزِيدِ كَرمِهِ لُطْفًا مِنهُ وكَرامة، أحمَدُهُ حَمدًا يْملأُ المِيزَانَ ويُوازِي جِبَالَ تِهامَة، وأشْكُرُهُ[2] شُكرَ عَبدٍ جعَلَ القُرآنَ إمَامَه، وقدَّمَ الخَيرَ أمَامَه.

وأشـهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَـرِيكَ لهُ، شَـهادَةَ عَبدٍ خائِـفٍ ذُنُوبَهُ وآثَامَه، وأشـهَدُ أنَّ سـيِّدَنا محمَّـدًا عَبدُهُ ورَسُـولُه، المُنـزَلُ عَلَيـهِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وعَلَـى آلـهِ وصَحبِـهِ وشِـيعَتِهِ وحِزبِـهِ مـا هَطلَـتْ غَمَامة، وسَـجَعتْ حَمامَة، وسَـلَّمْ تَسْـلِيمًا.

وبَعدُ:

فيَقُـولُ الفَقِيـرُ مَرْعِـيٌّ الحَنبَلِـيُّ: هَـٰذِهِ فَوائـدُ تَسُـرُّ[3] المحبِّين، وفوائدُ تُسِـيءُ الحاسِـدِين، ليَطمَئـنَّ بما فيهـا مُوافِقِيها مِنَ المؤقِنيـن، تَتعلَّقُ بالـكَلامِ عَلَى قَولِ ربِّ الـعَـالـمِـينَ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(١) في (م): «وإنعامه».

(٢) في (م): «وشكره».

(٣) في (م): «تسر بها».

وسمَّيتُهُ:

«تحقِيقَ البُرهانِ في إثْباتِ حَقِيقَةِ المِيزانِ»

فأقُولُ وباللهِ المُستَعانُ، ومنهِ أرْجُو العفْوَ والغُفْرانَ:

مُقدِّمةٌ في إعْرابِ مُشْكلِ[1] هَذِهِ الآيةِ

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾؛ أي: العَدْلَ، وانتِصَابُ ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ على أنَّهُ صِفةٌ لـ ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، وأُفْرِدَ لكونِهِ مَصْدرًا، والمصْدَرُ يَستوِي فيهِ الواحِدُ والجَمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ، والمعْنَى: ونضَعُ مَوازِينَ العَدلِ.

أو إنَّهُ عَلَى حَذفِ مُضافٍ، والمعْنَى: ذَواتِ القِسطِ.

وقِيلَ: مَنصُوبٌ عَلَى أنهُ مَفعُولٌ لأجلِهِ.

وأمَّا قولُهُ تَعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فقِيلَ: الَّلامُ بمعْنَى في، وإلى ذلِكَ ذهَبَ ابنُ مالِكٍ وابنُ قُتيبَةَ، وهوَ رأيُ الكُوفيِّينَ[2]، ومنه[3] عِندَهُمْ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقولُ الشَّاعِرِ[4]:

أولَئِكَ قَوْمِي قَدْ مَضَوا لسَبِيلِهِمْ ... كَمَا قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلُ عَادٌ وتُبَّعُ[5]

---

(١) «مشكل» من (م).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٤٣٥).

(٣) في (ج): «وفيه».

(٤) في (ج): «الشاعرة».

(٥) البيت لمسكين الدارمي. كما في: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٤٣٥)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٤/ ١٠١).

وقِيلَ: إنَّها للتَّعليلِ؛ أي: لأجْلِ حِسابِ أهلِ يَومِ القِيامةِ.

وقيـلَ: الَّـلامُ بمعْنَـى عِنـدَ، والمعْنَى عِنـدَ مجْيءِ يَـومِ القِيامَـةِ؛ كقَولِـهِ تَعَالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥]؛ أي: عِنـدَ مجيئِـهِ، وقولهُـمْ: جِئـتُ لخَمـسٍ خَلـونَ عـنِ الشَّـهرِ.

وأمَّا قولُهُ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾، فالضَّميرُ يرجِعُ للظُّلامَةِ المفهومةِ مِن ﴿نُظْلَمُ﴾، وقيلَ: يرجِعُ للعَملِ؛ أي: وإنْ كانَ العَملُ مِثقالًا، وقرأَ[1] نافِعٌ: (مِثقالُ) مَرفُوعًا[2] عَلى أنَّ ﴿كَانَ﴾ تامَّةٌ.

وقولُـهُ: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي[3]: جِئنـا بها، وقُـرِئ: (آتَينا)[4] بمَعْنـى، جازَيْنا، وهوَ قَريـبٌ مِـن: أعْطَينـا، أو مِنَ المواطَـأةِ، فإنَّهمْ آتَـوهُ بالأعْمَـالِ وأتاهُمْ بالجَـزاءِ، فهُوَ مُفاعلَةٌ.

والضَّميرُ في ﴿بِهَا﴾ للمِثقالِ، وأُنِّثَ لإضَافتهِ إلى الحبَّةِ.

وسيَأتي الكَلامُ عَلى قَولِهِ: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

***

---

(١) في (م): «وقول».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص١٥٥).

(٣) «أي» ليس في (م).

(٤) وهي من القراءات الشاذة، نسبت لمجاهد، كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥)، ونسبت له ولابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهم، كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ٦٣).

[المرادُ بالميزانِ، والخلافُ فيه بينَ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ والمعتزلةِ]

إذا تقـرَّر(١) هـذا، فاعلَـمْ أنَّ الصَّحيـحَ عنـدَ أهـلِ السُّـنةِ والجَماعَـةِ أنَّ المـرادَ بالميْـزانِ: الميْـزانُ الحقَيقِيُّ كما سيأتي، لا أنَّ المـرادَ بالمِيزانِ مجـرَّدُ العَدلِ، وأنَّ وضْـعَ الميـزَانِ يَـومَ القِيامَـةِ كِنايةٌ وتمْثيـلٌ لإرْصَادِ الحِسَـابِ الدُّنيَـويِّ(٢)، والجزاءُ عَلَى حَسـبِ الأعْمـالِ بالعَدلِ.

وإلى ذلِكَ ذهَبَ المعتَزلةُ(٣)، وأنْكَرُوا الميزانَ محْتَجِّينَ:

بأنَّ الأعمَالَ أعرَاضٌ، إنْ أمكَنَ إعادَتُها، لم يمْكِنْ وزْنُها.

ولأَنَّها مَعلُومةٌ للهِ تَعَالى، فوَزنُها عَبثٌ.

والجوابُ: إنَّهُ قدْ ورَدَ في الحدِيثِ: أنَّ كُتبَ الأعمَالِ هيَ التي تُوزَنُ(٤)، ولعَلَّ في الوزْنِ حِكمَةً، لا نطَّلِعُ عَلَيها، وعدَمُ اطِّلاعِنا على الحِكْمةِ لا يُوجِبُ العَبَثَ.

ونُقِلَ عَنْ مجاهِدٍ: أنَّ المرادَ بالميزَانِ: العدْلُ(٥).

---

(١) في (ج): «أقرَّ».

(٢) في (م): «السوي».

(٣) انظر: «قواعد العقائد» لأبي حامد الغزالي (ص١٣٧)، و«بحر الكلام» لأبي المعين النسفي (ص٢٣٩)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ١٠٣).

(٤) ورد ذلـك فـي عـدة أحاديـث منهـا حديـث البطاقة والسـجلات، وسيأتي. ومـن الأحاديـث التي تـدل علـى ذلـك ولـم ترد فـي هـذه الرسـالة: مـا رواه أبـو داود (٤٧٩٩) والترمـذي (٢٠٠٢) عن أبـي الـدرداء عـن النبـي ﷺ قـال: «ما يوضـع في الميـزان يـوم القيامة أثقـل من خلق حسـن». قال الترمـذي: حسـن صحيح.

(٥) ذكـر نحـوه البخـاري فـي «صحيحـه» قبـل حديـث (٧٥٦٣) معلقًـا، ورواه الطبري في «تفسـيره» (٢٠/ ٤٩٠). وانظـر: «تغليـق التعليـق» لابـن حجـر (٥/ ٣٨٢).

قالَ الفَخرُ: ويُروَى مِثلُهُ عَن قَتادةَ والضَّحَّاكِ[١].

قالَ القُرطبيُّ في «تفسِيرِهِ»: قالَ مجاهدٌ، وقَتَادةٌ، والضَّحَّاكُ: ذِكْرُ الميزَانِ مَثلٌ، وليسَ ثمَّ مِيزانٌ، وإنَّما هوَ العَدلُ[٢].

قالَ الفَخرُ[٣]: وحكَاهُ ابنُ جُبيرٍ[٤] عنِ ابنِ عبَّاسٍ[٥].

وبهِ قالَ الأعْمَشُ[٦]، وكَثيرٌ مِنَ المتأخِّرينَ[٧].

وردَّهُ الإمَامُ الفَخْرُ وقالَ: إنَّ حمْلَ الموازِينِ عَلى مجرَّدِ العَدلِ، وصرْفَ اللَّفظِ عنِ الحَقِيقةِ إلى المجازِ مِن غَيرِ ضَرورَةٍ؛ غَيرُ جَائزٍ، لا سيَّما وقَدْ جاءَتِ الأحادِيثُ الكَثِيرةُ، بالأسانيدِ الصَّحِيحةِ في هذا البابِ[٨].

قالَ الإمَامُ الفَخرُ في تفسِيرِ هَذهِ الآيةِ: إنَّ قولَ أئمَّةِ السَّلفِ: إنَّهُ سُبحانَهُ يَضعُ

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٠) عن قتادة، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٩) عن الضحاك.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١١/ ٢٩٣).

(٣) من قوله: «القرطبي» إلى هنا سقط من (ج).

(٤) كذا في النسختين، وفي المطبوع من «تفسير الرازي»: «ابن جرير».

(٥) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] إلى آخر الآية، وهو كقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] يعني بالوزن: القسط بينهم بالحق في الأعمال الحسنات والسيئات، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه، يقول: أذهبت حسناته سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه.

(٦) ذكره عن الأعمش الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٤)، والقرطبي في «التذكرة» (ص٧٢٣).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢).

(٨) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٩).

الموازِينَ الحقيقِيَّةَ ليزِنَ بها الأعمَالَ، قالَ: وعنِ الحسَنِ: هوَ مِيزانٌ لهُ كِفَّتانِ ولسَانٌ، وهوَ بيدِ جِبريلَ عَلَيهِ السَّلامُ(١).

وأخرَجُ أبو الشَّيخِ في «تفسِيرِهِ» مِن طَرِيقِ الكَلبيِّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: الميزَانُ لهُ لسَانٌ وكِفَّتَانِ(٢).

***

[عِظَمُ الميزَانِ]

وأمَا عِظَمُهُ(٣):

فقَالَ الفَخرُ والثَّعلبيُّ وغيرُهما: رُوِيَ أنَّ داوُدَ عَليهِ السَّلامُ سَألَ ربَّهُ جلَّ جَلالُهُ أنْ يُرِيَهُ الميزَانَ، فَلَمَّا رآهُ، غُشِيَ عَليهِ، فلمَّا أفاقَ، قالَ: يا إلِهي! مَن ذا الذِي يقْدِرُ أنْ يملأَ كِفَّةَ حسنَاتِهِ؟ فقَالَ: إذا رضِيتُ عَنْ عَبدِي مَلأتُها(٤) بتَمرةٍ(٥).

وقالَ الفَخرُ في تفسِيرِ سُورَةِ الأعرافِ: إنَّ عبدَ اللهِ بنَ سَلامٍ قالَ: إنَّ مِيزانَ رَبِّ العَالمينَ، يُنصَبُ بينَ الجنِّ والإنسِ، يُستَقبَلُ بهِ العَرشُ، إحدَى كِفَّتَيهِ عَلَى

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). وقول الحسن رواه اللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢١٠)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤١٨).

(٢) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤١٨). ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي هو محمد بن السائب متروك.

(٣) في (ج): «وأما عظيم».

(٤) في (ج): «ملأها».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٧)، و«تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٨). ونقله المفسرون، ولم أقف له على سند.

الجنَّـةِ، والأُخـرَى عَلَـى جهنَّـمَ، لـو وُضِعَـتِ السـمَاواتُ والأرْضِ فـي إحدَاهُمـا لوسِـعَتْهُنَّ، وجِبريـلُ آخِذٌ بعَمُـودِهِ ينْظرُ إلى لسَـانِهِ[١].

وروَى الحاكِمُ في «المستَدْركِ» وصحَّحَهُ على شرْطِ مُسلمٍ عَنْ سَلمانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يُوضَعُ الميزانُ يومَ القِيامَةِ، فلَو وُزِنَ[٢] فيهِ السَّماواتُ والأرْضُ لوسِعَتْ[٣]، فتَقولُ الملائكِةُ: يا ربُّ! لمنْ يزِنُ هذا؟ فيقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: لمَنْ شِئْتُ مِن خَلقِي، فتَقولُ الملائكَةُ: سُبحانَكَ، ما عبدْناكَ حقَّ عبادَتِكَ»[٤].

***

[صِفةُ الميزَانِ]

وأمَّا صِفتُهُ:

فقَالَ الغَزاليُّ في «الدُّرَّةِ الفاخِرَةِ في كشْفِ عُلُومِ الآخِرةِ»: يُنصَبُ الميزَانُ، وهوَ كِفَّتانِ، كِفَّةٌ[٥] عَنْ يمِينِ العَرْشِ مِن دُرَّةٍ بيضاءَ، وكِفَّةٌ عَن يسَارِهِ مِنْ ظُلْمَةٍ[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢)، وذكره أيضًا النيسابوري في «تفسيره» (٣/ ٢٠٢). ولم أقف له على سند.

(٢) في (ج): «وزنت».

(٣) في (ج): «لوسعتهن».

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٣٩) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٧)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٨٢٧) عن سلمان موقوفًا. قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٨): وقد صح عن سلمان ـ فذكره ثم قال: ـ وخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه، ولكن الموقوف هو المشهور.

(٥) «كفة» ليست في (م).

(٦) انظر: «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» (ص٥٣) ط دار الحكمة، دمشق، ١٤١٥هـ.

وقالَ في «التَّذكرَةِ» للقُرطبيِّ: المتَّقونَ تُوضَعُ حسنَاتهُمْ في الكفَّةِ النيِّرةِ، وصَغائرُهُمْ في الكِفَّةِ الأُخرَى، فلا يجعَلُ اللهُ لتلْكَ الصَّغائرِ وَزْنًا، وتثقُلُ النيِّرةُ، حتَّى لا تَرتفِعَ، وترتفِعُ المظلِمَةُ، ارتفَاعَ الفارِغِ الخالِي(١). وأمَّا الكفَّارُ فيُوضَعُ كُفرُهمْ وأوزَانهُمْ في الكِفَّةِ المُظلِمةِ، وإنْ كانَ لهُمْ أعمَالُ برٍّ، وضِعَتْ في الكِفَّةِ الأُخرَى، فلا يقاوِمُها إظهَارًا لفضْلِ المتَّقِينَ، وذلِّ الكافِرينَ(٢).

* * *

[صاحِبُ الميزَانِ]

وأمَّا صاحِبُهُ:

فِفي الثَّعلبيِّ وغيرِهِ، وأخرَجَهُ ابنُ جَريرٍ في «تفْسِيرِهِ» وابنُ أبي الدُّنيا عَنْ حُذَيفَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: صاحِبُ الميزَانِ يومَ القِيامَةِ: جِبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ(٣).

وقدْ مرَّ قرِيبًا قَولُ الفَخرِ، عَنْ عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ: وجِبريلُ آخِذٌ بعَمُودِهِ ينظُرُ إلى لسَانِهِ، وقولِ الحسَنِ: هوَ مِيزانٌ لهُ كِفَّتانِ ولسَانٌ، وهوَ بيَدِ جِبريلَ عَليهِ السَّلامُ.

وفي الثَّعلبيِّ: عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: إنَّ مَلَكًا مِن مَلائكَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ موَكَّلٌ يومَ القِيامةِ بمِيزانِ ابنِ آدَمَ، فيُؤتى بهِ، حتَّى يوقفَ بينَ كِفَّتي الميزَانِ، فيوزَنُ عملُهُ،

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٧٢٥).

(٢) نحوه في «التذكرة» (ص٧٢٧). وفيه: «وأما الكافر، فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢١٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٩)، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٩٧) إلى ابن أبي الدنيا، ورواه أيضًا اللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢٠٩).

فإنْ ثقُلَ مِيزانُهُ، نادَى الملَكُ بصَوتٍ يسمَعهُ الخلائقُ، باسْمِ الرجُلِ: ألا سَعِدَ فلانٌ سعادَةً لا يَشقَى بعدَها أبدًا، وإنْ خفَّتْ موازِينهُ، نادَى الملَكُ: ألا شقِيَ فلانٌ شقاوَةً لا يسعَدُ بعدَها أبدًا[1].

***

[هل الميزانُ واحدٌ أو أكثرُ؟]

وقدِ اختلَفَ العلماءُ هل الميزانُ واحِدٌ أو أكثَرُ؟

فقالَ الحسَنُ بنُ أبي الحسَنِ البَصريُّ: لكُلِّ واحِدٍ ميزانٌ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧][2].

وقالَ بعضُهم[3]: الأظهَرُ إثباتُ الموازِينِ يومَ القِيامةِ، لا مِيزانٌ واحِدٌ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقولِهِ تَعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]. قالَ: وعلَى هَذا، فلا يبعُدُ أنْ يكُونَ لأفعَالِ القُلوبِ مِيزانٌ وللجَوارِحِ مِيزانٌ، ولما يتعلَّقُ بالقولِ مِيزانٌ آخرُ[4].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٥)، وكذا رواه البزار في «مسنده» (٦٩٤٢)، والدينوري في «المجالسة» (١٦٢٥)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٢٢٠٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٠): رواه البزار وفيه صالح المري وهو مجمع على ضعفه. وقال ابن كثير في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]: إسناده ضعيف، فإن داود بن المحبر متروك.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ١٤)، و«تفسير الثعالبي» (٩/ ٩).

(٣) هو الرازي، وكلامه هذا في «التفسير الكبير» (١٤/ ٢٣).

(٤) «آخر» ليس في (م).

وقيلَ: يجوزُ أنْ يكُونَ هُناكَ مَوازِينُ للعامِلِ الواحِدِ، يُوزَنُ بكُلِّ مِيزانٍ مِنها صِنْفٌ مِن أعمالِهِ، كما قالَ الشَّاعِرُ:

مَلِـكٌ تَقُـومُ الحادِثـاتُ بعَدْلِهِ فلِـكُلِّ حادِثـةٍ لهـا مِيْـزانُ(١)

ولمْ يرْضَ ابنُ عطيَّةَ هذا القَولَ ونحوَهُ(٢)، وقالَ: إنَّ النَّاسَ عَلَى خِلافِهِ، وإنَّما لكلِّ أحدٍ وزْنٌ مختَصٌّ بهِ، والميزانُ واحِدٌ(٣).

وأجابَ بعضُهُمْ عَنْ جمعِ الموازِينِ في الآيةِ: بأنَّها إنَّما جُمعَتْ لكثرَةِ مَن تُوزَنُ أعمالُهُمْ، أو هوَ جمْعُ تفخِيمٍ(٤).

***

[اختلافُ العلماءِ في المَوزُونِ]

واختَلفَ العلماءُ في الموزُونِ؛ فقيلَ: يوزَنُ العبدُ معَ عملِهِ. وقيلَ: يجسَّدُ(٥) العَملُ ويوزَنُ.

قـالَ ابـنُ عبَّـاسٍ: يُجاءُ بالحسـنَاتِ فـي أحسَـنِ صُـورةٍ، ويُجَاءُ بالسـيِّئاتِ في أقبَحِ صُـورةٍ(٦).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٣)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (١٠/ ٤٨٠). ومن قوله: «وقيل يجوز أن يكون» إلى هنا ليس من (ج).

(٢) «ونحوه» ليس في (ج).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٣٧٦).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢٢/ ١٤٩).

(٥) في (ج): «يجرد».

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٨) من طريق الكلبي، والكلبي متروك.

وقيلَ: يوضَعُ في كِفَّةِ الحسنَاتِ جواهِرُ بِيضٌ مُشرقةٌ، وفي كِفَّةِ السيِّئاتِ جواهِرُ سُودٌ مُظلمَةٌ(١).

والصَّوابُ: ما صحَّحهُ ابنُ عبدِ البرِّ والقُرطبيُّ وغيرُهما أنَّ الموزُونَ الصَّحائفُ(٢).

قالَ الإمامُ الفخْرُ: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ سُئلَ عمَّا يوزَنُ يومَ القِيامةِ؟ فقالَ: «الصُّحفُ»، وهوَ مذهَبُ المفسِّرينَ؛ لقَولهِ تَعَالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨](٣).

فعَلَى هذا، فالثِّقَلُ الذِي يكُونُ في الميزانِ، إنَّما يكُونُ في صحَائفِ الأعمالِ. وحكاهُ ابنُ عطيَّةَ عَن أبي المعالي، قالَ ابنُ عطيَّةَ: وهذا أقربُها(٤).

ونقَلَ المفسِّرونَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ، ورواهُ التِّرمذيُّ، وابنُ ماجَهْ، وابنُ حبَّانَ، والحاكِمُ وصحَّحهُ، والبَيهقِيُّ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «يُصاحُ برجُلٍ مِن أُمَّتي عَلَى رؤوسِ الأشْهادِ يومَ القِيامةِ، فينشَرُ له تسعةٌ وتسعُونَ سِجِلًّا، كلُّ سجِلٍّ مِنها مدُّ البصَرِ، فيها خطاياهُ وذنُوبُهُ، فيَقولُ اللهُ: أتُنكِرُ مِن هذا شيئًا؟ أظلَمكَ كتَبتِي الحافِظُونَ؟ فيَقولُ: لا، يا ربِّ! فيقُولُ: أفلَكَ عُذرٌ أو حسنَةٌ؟ فيقُولُ: لا، يا ربِّ! فيقُولُ اللهُ: بلَى، إنَّ لكَ عِندَنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلْمَ عَليكَ اليومَ. فَتُخْرَجُ لهُ بطاقَةٌ،

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٢٠)، ثم نقله عنه المفسرون.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٦٥). وقد رجح ابن حجر أن الذي يوزن هو الأعمال، واستدل بأحاديث على قوله. انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٩).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٤/ ٢٠٢). والحديث لم أقف عليه مسندًا، وقد ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٩/ ٢٤).

(٤) في (ج): «قريب». انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٣٧٦).

فيها: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ. فيقُولُ: يا ربُّ! ما هذِهِ البِطاقةُ معَ هذِهِ السِّجلَّاتِ؟ فيُقالُ: إنَّكَ لا تُظلَمُ. فتُوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، فتطيْشُ السِّجِلَّاتُ، وتَثقُلُ البِطاقةُ، ولا يَثقُلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ»(١).

فثبَتَ بهذا الحدِيثِ الصَّحِيحِ أنَّ الموزُونَ إنَّما هوَ صحائفُ الأعمَالِ.

قلْتُ: وعَلَى هذا، فكيفَ يثقُلُ(٢) وزنُ هذِهِ الصُّحُفِ؟ فهلِ العِبرةُ في الوزْنِ بتفاوُتِ أجرامِ الصُّحفِ، أو بالكِتابةِ(٣) الَّتي فيها؟ وعلَى كِلا التَّقدِيرينَ فمُشكِلٌ بحدِيثِ البطاقةِ، فسُبحانَ العالمِ بكلِّ شيءٍ.

وأيضًا فكلُّ مسلِمٍ يأتي بالشَّهادَتينِ في عمُرِهِ مرَّاتٍ كثِيرةٍ، فعلَى هذا كلُّ مسلِمٍ فارَقَ الدُّنيا مرتكِبًا للكَبائرِ، ترجحُ حسناتُهُ علَى السَّيِّئاتِ، فيكُونُ مِن أهلِ الجنَّةِ بلا عَذابٍ.

وفيهِ نظرٌ ظاهِرٌ؛ إذِ الفسَّاقُ الموحِّدُونَ يعذَّبونَ، كما قامَتْ عَلَى ذلِكَ الأدلَّةُ، ولمْ أرَ مَن تعرَّضَ لهذا الإشكَالِ ولا لجوابِهِ.

ولعلَّ هذا مخصُوصٌ بأقوامٍ لطَفَ اللهُ تَعالى بهِمْ، بمُقتضَى مَشيئتِهِ وحِكمَتِهِ(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٩). وقال الترمذي: حسن غريب.

(٢) في (م): «يعقل».

(٣) في (ج): «الكتابة».

(٤) ومن الأجوبة على ذلك أيضًا: أن ما جاء في حديث البطاقة هو حال من قالها بإخلاص وصدق، كما قالها هذا الشخص. انظر: «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٦/ ٢١٩).

وبنحوه قال ابن القيم وزاده إيضاحًا فقال: إن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل =

أو: أنَّ المرادَ بما في السِّجِلَّاتِ المذكُورةِ ما هوَ مِن أعمَالِ الكُفرِ، ولا شكَّ أنَّ الشَّهادةَ تجُبُّ ذلِكَ كلَّهُ، وأمَّا الأعمَالُ الواقعَةُ في الإسلامِ فلا يجبُّها إلَّا التَّوبةُ.

أو: أعمالٌ صالحَةٌ كثيرَةٌ تُعادِلها، وإلَّا فصاحِبُها في المشيئةِ حِينئذٍ، فتأمَّلْ! فإنَّهُ دقِيقٌ[1].

***

[خلافُ العلماءِ في وزنِ أعمَالِ الكافرِينَ]

واختلَفَ العلَماءُ؛ هلْ تُوزَنُ أعمَالُ الكافِرينَ، أو الوزْنُ خاصٌّ بأعمالِ المؤمِنينَ؟

وفي كلٍّ آياتٌ مُتعارِضَاتٌ.

فقالَ بعضُهمْ: توزَنُ أعمَالُ الكافرِينَ؛ لقَولِهِ تَعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨]؛ أي: يجحَدُونَ؛ قالَهُ مجاهِدٌ[2]، وقولِهِ تَعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨].

= بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصفِّ واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

ثم قال: ومعلوم أن كلَّ موحِّد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النَّار بذنوبه، ولكنَّ السرَّ الذي ثقَّل بطاقة ذلك الرَّجل وطاشت لأجله السِّجلَّات لَمَّا لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثِّقل والرَّزانة. انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٠).

(١) من قوله: «وأيضًا فكل مسلم» إلى هنا ليس في (ج).

(٢) كذا فسره كثير من المفسرين دون نسبة لقائل. انظر مثلاً: «تفسير الطبري» (١٠/ ٧٢)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٥٠٤)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٩/ ٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤١).

قالَ القُرطبيُّ: فإنْ قيلَ: إذا وُزِنَ عمَلُ الكافرِ، فما يُقابلُهُ في الكِفَّةِ الأُخرَى؟ قُلنا: ما كانَ مِنهُ مِن صِلَةِ الأرْحامِ وأفعالِ البِرِّ ونحوِ ذلِكَ، غيرَ أنَّ الكُفرَ إذا قابلَها رجَحَ علَيها(١).

وقالَ بعضُهُمْ: لا تُوزَنُ أعمَالُ الكافرِينَ؛ لقَولِهِ تَعالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وأجابَ مَن قالَ بوزْنِ أعمالِهِمْ عَنْ هذِهِ الآيةِ: إنَّ المرادَ: وزنًا يُعتدُّ بهِ؛ أي: فلا يُكرَمُونَ ولا يُعطَونَ، وهَذا مجازٌ عَن عدَمِ الاعتِدادِ بِهِمْ.

والصَّوابُ: أنَّ الميزانَ لا يكُونُ في حقِّ كلِّ أحدٍ، فإنَّ الَّذِينَ يدخُلونَ الجنَّةَ بغَيرِ حسابٍ لا يُنصَبُ لهُمْ ميزانٌ، وكذلِكَ مَن يُعجَّلُ بِهِ إلى النَّارِ لا يُقامُ لهُمْ وَزْنٌ.

وبقيَّةُ الكفَّارِ يُنصَبُ لهُمُ الميزانُ، فيظْهَرُ بهذا أنَّ قولَهُ تَعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ محمُولٌ علَى مَن يُعجَّلُ بهِ إلى النَّارِ(٢)، والآياتُ الأُخرُ في حقِّ بقيَّةِ الكافِرينَ.

فإذَنْ: فلا تعارُضَ بينَ الآياتِ، ولا مجازَ في الآيةِ، فتأمَّلْ هَذا التَّحقِيقَ.

وقالَ بعضُ أهلِ التَّحقِيقِ: خَيراتُ الكافِرِ تُوزَنُ، ويُجزَى بها، إلَّا أنَّ اللهَ تَعالى حرَّمَ عليهِ الجنَّةَ، فجَزاؤُهُ أنْ يُخفَّفَ عنهُ، بدلِيلِ حَديثِ أبي طالِبٍ(٣).

***

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٧٢١).

(٢) في (م): «للنار».

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، ولفظ مسلم: عن العباس رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح».

[وزنُ أعمالِ الجنِّ]

وذكرَ المحقِّقونَ[١]: أنَّ أعمَالَ الجنِّ تُوزَنُ كما تُوزَنُ أعمَالُ الإنسِ، وارتضَاهُ الأئمَّةُ، ونُقلَ ذلِكَ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضِيَ اللهُ عَنهُ[٢].

* * *

[الحكمَةُ مِن وزنِ الأعمَالِ]

واختلَفَ العُلماءُ: ما الحِكمَةُ في وزْنِ الأعمَالِ، معَ أنَّ اللهَ تَعَالى عالمٌ بكُلِّ شيءٍ قبلَ وزنِهِ؟

قالَ الثَّعلبيُّ: لأجلِ أربعَةِ أشياءٍ:

إمَّا تعرِيفُ اللهِ تَعَالى العبادَ ما لهُمْ عِندَهُ مِن جَزاءٍ عَلَى خَيرٍ أو شرٍّ.

أو امتِحانهُمْ بالإيمَانِ في الدُّنيا.

أو جعْلُ ذلِكَ عَلامةً لأهْلِ السَّعادةِ والشَّقاوةِ في العُقْبى.

أو إقامَةُ الحجَّةِ علَيهِمْ، انتَهى[٣].

قلْتُ: الأحسَنُ أنْ يُقالَ: الحكمَةُ فيهِ: إظهَارُ العَدلِ، وبيانُ الفَضلِ، حيثُ إنَّهُ تَعالى يزِنُ مثاقِيلَ الذَّرِّ مِن الأعمَالِ، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

قالَ أبو عُثمانَ النَّهدِيُّ: قدِمتُ إلى مكَّةَ حاجًّا أو مُعتَمِرًا، فلقِيْتُ أبا هُريرَةَ؛

---

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (ص٧٢٨) فقد ساق أدلة من القرآن الكريم على ذلك.

(٢) تقدم الخبر عنه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢١٦).

فقُلتُ: بلَغَني عنكَ أنَّكَ تقُولُ: اللهُ يعطِي عبدَهُ المؤمِنَ بالحسنَةِ الواحِدةِ ألفَ حَسنةٍ فقالَ: لمْ أقُلْ ذلِكَ، ولكنِّي قُلْتُ: لأنَّ(١) الحسنَةَ تُضاعَفُ بألفَي ألفَي ضِعفٍ، ثمَّ قالَ: قالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠](٢).

وقالَ الحسَنُ: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] أحبُّ إليَّ مِن قولِ العُلماءِ مِن أنَّ الحسنَةَ الواحدَةَ تُضاعَفُ مئةَ ألفِ حسنَةٍ؛ لأنَّ التَّضعِيفَ الذِي قالُوا يكُونُ مِقدارُهُ مَعلُومًا، وأمَّا هذِهِ العِبارَةُ التي في كِتابِ اللهِ فغَيرُ معلُومٍ(٣).

* * *

[الإيمانُ لا يُوزَنُ]

قالَ النَّسفِيُّ مُستدرِكًا مِن عمومِ وزْنِ الأعمالِ: إنَّ الإيمانَ لا يُوزَنُ، لأنَّهُ ليسَ لهُ ضِدٌّ يوضَعُ في كِفَّةٍ أُخرى؛ لأنَّ ضدَّهُ الكفرُ، والإيمانُ والكُفرُ لا يكُونانِ في الإنسانِ الواحِدِ(٤).

* * *

---

(١) في (م): «إن».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٩٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٠٣) كما في الأصل موقوفًا. وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٤٥)، والبزار في «مسنده» (٩٥٢٥) مرفوعًا. وقال ابن كثير بعد أن أورد هذا الحديث في «تفسيره» من رواية الإمام أحمد: هذا حديث غريب، وعلي بن زيد بن جدعان. عنده مناكير، لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (١٠/ ٨٣).

(٤) انظر: «بحر الكلام» لأبي معين النسفي (ص٢٤٣). وتوسع الطرطوشي في بيان الأدلة على عدم وزن الإيمان، وتأويل الأحاديث التي ورد فيها ما يقتضي وزنه. انظر: «تحرير المقال في موازنة الأعمال» (١/ ٢٩٣ - ٣٠٠)، وانظر كذلك: «الفتاوى الحديثية» (ص١٣٠). وذهب ابن عرفة إلى أن الإيمان يوزن. انظر: «تفسير ابن عرفة» (١/ ٤٥٨).

[البكاءُ مِنْ خَشيةِ اللهِ لا يُوزن]

قلْتُ: وورد[١] أيضًا أنَّ البُكاءَ مِن خَشيةِ اللهِ لا يُوزَنِ؛ لِعظَمَهِ عندَ اللهِ.

روَى إمامُنا أحمدُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نزَلَ علَيهِ جِبريلُ، وعِندَهُ رجُلٌ يبكِي، فقالَ: مَن هَذا؟ قالَ: فُلانٌ، فقالَ جِبريلُ عَليهِ السَّلامُ: إنَّا نزِنُ أعمالَ بني آدمَ كلَّها إلَّا البُكاءَ، فإنَّ اللهَ يطفِئُ بالدَّمعةِ الواحِدةِ بحورًا مِن نارِ جهنَّمَ[٢].

وروَى البيهَقيُّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: لو أنَّ باكِيًا بكَى في أُمَّةٍ مِن الأممِ لرُحِموا، وما مِن شيءٍ إلا لهُ مِقدارٌ ومِيزانٌ، إلَّا الدَّمعَةَ، فإنها تُطفَأُ بها بحارٌ مِن نارٍ[٣].

* * *

[الأعمالُ غَيرُ المخلصَةِ لا تُوزنُ]

وكذلِكَ الأعمَالُ الغيرُ المخلِصةِ لا تُوزَنُ.

روَى البـزَّارُ، والطَّبرانـيُّ، والدارَقطنـيُّ، والأصبَهانـيُّ عَنْ أنسٍ رضِـيَ اللهُ عنهُ قـالَ: قالَ رسُـولُ اللهِ ﷺ: «يُؤتَى يومَ القِيامةِ بصحُـفٍ مختَّمةٍ، فتُنصَبُ بينَ يدَي اللهِ، فيقُـولُ اللهُ عـزَّ وجـلَّ: ألقُـوا هـذِهِ واقبلوا هـذه[٤]، فتقُـولُ الملائكَـةُ: وعزَّتِـكَ، ما

---

(١) في (ج): «وروي».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٤٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥٨).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨١١)، وكذا عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٩٢) كلاهما عن مسلم بن يسار مرسلًا. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١١٥): رواه البيهقي هكذا مرسلًا، وفيه راو لم يسم، وروي عن الحسن البصري وأبي عمران الجوني وخالد بن معدان غير مرفوع، وهو أشبه.

(٤) «واقبلوا هذه» من (م).

كتبَنا إلَّا مَا عمِلَ، فيقُولُ عزَّ وجلَّ: إنَّ هذا كانَ لغَيرِ وجْهِي، وإنِي لا أقبَلُ اليومَ إلَّا ما ابتُغِيَ بهِ وجهِي»(١).

***

لطيفةٌ

قالَ علَماءُ الصوفيَّةِ: مَنْ وَزَنَ أعمَالَهُ وأنفاسَهُ في الدُّنيا بميزانِ العدْلِ فهوَ مِنَ العابدِينَ، ومَنْ وَزَنَ حركاتِهِ فهوَ منَ المحبِّينَ، ومَن وزَنَ خطَراتهِ فهوَ مِنَ العارِفينَ.

ومِيزانُ العدلِ ثلاثةٌ:

- مِيزانُ النَّفسِ والرُّوحِ، فمَنْ وزنَهُما بمِيزانِ الأمرِ والنَّهيِ، بكِفَّةِ الكِتابِ والسنَّةِ، نالَ الدَّرجاتِ في الجنَّاتِ.

- وميزانُ القلْبِ والعقْلِ، فمن وزَنَ حركتَهُما بمِيزانِ الثَّوابِ والعِقابِ، بكِفَّةِ الوعْدِ والوعِيدِ، نالَ أسنَى الدَّرجاتِ.

- وميزانُ المعرفةِ والسِّرِّ، فمَنْ وزنَهُما بميزَانِ الرِّضا والسَّخطِ، بكِفَّةِ الطَّلَبِ والهرَبِ، سلِمَ ممَّا هرَبَ، وفازَ بما طلَبَ، ومَنْ أرادَ الوصُولَ إلى المسبِّبِ، فعلَيهِ بالهرَبِ منَ السَّببِ، فإنَّهُ حجابُ كلِّ طالِبٍ.

***

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٣٨٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٠٣) (٦١٣٣)، والدارقطني في «سننه» (١/ ٥١)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٠): رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار.

[الكلامُ على قولِهِ تعَالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾]

وأمَّا قولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ففيهِ توعُّدٌ شديدٌ، وتخويفٌ وتهدِيدٌ.

و(نا) فاعِلٌ، و(الباء) زائدةٌ، نحوُ: كفَى باللهِ، والظَّاهِرُ كما قالَ أبو حيَّانَ في «النَّهرِ»[١]: إنَّ ﴿حَٰسِبِينَ﴾ تمييزٌ؛ لقبولِهِ (مِن)[٢]، ويجوزُ أنْ يكُونَ حالًا[٣].

وقالَ[٤] الزَّجَّاجُ في هذِهِ الآيةِ: هذا خَبرٌ، ومَعناهُ الأمرُ، أي: اكتَفُوا بنا[٥].

وأصلُ الحسَابِ: العدُّ والإحصَاءُ.

قالَ الثَّعلبيُّ: ومَعْنى الحسابِ: تَعريفُ اللهِ عزَّ وجلَّ الخلائقَ مَقادِيرَ الجَزاءِ عَلَى أعمَالِهِمْ، وتذكِيرُهُ إياهُمْ ما قَدْ نَسوه[٦] مِن ذلِكَ، يدُلُّ عَليهِ قولُهُ تَعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦][٧].

---

(١) كتاب «النهر الماد من البحر» هو مختصر لـ «البحر المحيط» كلاهما لأبي حيان، مطبوع بحاشية «البحر المحيط» في الطبعة القديمة، مطبعة السعاد بمصر، سنة ١٣٢٨هـ، هو و«الدر اللقيط من البحر المحيط» لتلميذ أبي حيان تاج الدين أحمد بن عبد القادر القيسي.

(٢) في (م): «منه».

(٣) انظر: «النهر الماد» (٦/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٤٣٦). ومن قوله: «ففيه وعيد شديد» إلى هنا ليس في (ج).

(٤) في (ج): «فقال».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٤).

(٦) في (ج): «نسوا».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١١٧).

وقالَ بعضُهُمْ: مَعْنى كونِهِ تَعَالى محاسِبًا لخلقِهِ: أنَّهُ تَعَالى يُعْلِمُهُمْ ما لهُمْ وعَلَيهِمْ.

قالَ الفَخرُ: بأنْ يخلُقَ اللهُ في قلُوبهِمُ العُلومَ الضَّروريَّةَ، وكيفيَّاتِها، بمقادِيرِ أعمَالِهِمْ مِنَ الثَّوابِ والعِقابِ[(١)].

وقالَ بعضُهمْ: إنَّهُ تَعَالى يكلِّمُ عِبادَهُ في أحوالِ أعمَالِهِمْ، منَ الثَّوابِ والعِقابِ، لِمَا في البُخارِيِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «ما مِنكُمْ مِن أحدٍ إلا سيُكلِّمهُ ربُّهُ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ تَرْجُمانٌ، ولا حِجابٌ يَحجُبُهُ»[(٢)].

قالَ الفخرُ: فمَنْ قالَ: إنَّ كلامَهُ تَعالى ليسَ بصَوتٍ ولا حَرفٍ، قالَ: إنَّ اللهَ يخلُقُ في أذُنِ المكلَّفِ سمْعًا يسمَعُ بِهِ كلامَهُ القَديمَ، كما أنَّهُ يخلُقُ في عَينيهِ رُؤيةً يرَى بها ذاتَهُ القَدِيمةَ، ومَن قالَ: إنَّهُ صوتٌ، قالَ: إنَّ اللهَ تَعَالى يخلُقُ كلامًا يسمَعُهُ كلُّ مكلَّفٍ، إمَّا أنْ يخلُقَ ذلِكَ الكَلامَ في أُذنِ كلِّ واحدٍ مِنهُمْ، أو في جسْمٍ يقرُبُ مِن أُذنِهِ، بحيثُ لا تبلُغُ قوَّةُ ذلِكَ الصَّوتِ أنْ تمنَعَ الغَيرَ مِن فهْمِ ما كُلِّفَ بِهِ. قالَ: وهَذا هوَ المرادُ مِن كونِهِ تَعالى محاسِبًا لخلْقِهِ[(٣)].

ونقلَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّهُ لا حِسابَ عَلى الخلْقِ، بلْ يقِفُونَ بينَ يدَي اللهِ تَعَالى، يُعْطَونَ كتبُهمْ بأيمانِهِمْ، ويُقالَ: هذِهِ سيِّئاتِكُمْ، قدْ تجاوَزتُ عَنها. ثم يُعطَونَ حسناتِهِمْ، ويُقالُ: هذِهِ حسناتُكُمْ، قدْ ضاعفْتُها لكُمْ[(٤)]. وهذا مُعارَضٌ بالأحادِيثِ الصَّحيحَةِ.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٥/ ٣٣٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٥/ ٣٣٩).

(٤) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٤/ ٦٥)، والرازي في «التفسير الكبير» (٥/ ٣٣٩).

روَى الإمامُ مُسلمٌ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لا تزُولُ قدَما عبدٍ يومَ القِيامةِ، حتَّى يُسألَ عَنْ أربعَةٍ: عَنْ عمُرِهِ فيما أفناهُ، وعَنْ جسدِهِ فيما أبلاهُ، وعَنْ عملِهِ ما عمِلَ فيهِ، وعَنْ مالِهِ مِن أينَ اكتسَبهُ، وفيما أنفقَهُ»(١).

وروَى ابنُ المبارَكِ، وأبو داودَ، والتِّرمذِيُّ وحسَّنهُ، والحاكِمُ وصحَّحهُ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجَهْ، عَن أبي هُريرَةَ قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ بهِ العَبدُ يومَ القِيامَةِ الصَّلاةُ، يقُولُ اللهُ لملائكَتِهِ: انظُروا إلى صلاةِ عَبدِي، أتمَّها أمْ نقَصَها، فإنْ كانَتْ تامَّةً، كُتبَتْ لهُ تامَّةً، وإنْ كانَ يُنقِصُ مِنها شَيئًا، قالَ اللهُ: انظُرُوا، هَلْ لعبدِي مِن تطوُّعٍ، فإنْ كانَ لهُ تطوُّعٌ، قالَ: أتمُّوا لعبْدِي فريضَتهُ مِن تطوُّعِهِ، ثمَّ تؤخَذُ الأعمَالُ عَلى ذلِكَ»(٢).

وفي النَّسائيِّ: عنِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ اللهُ عنهُ يرفعُهُ: «أوَّلُ ما يحاسَبُ علَيهِ العبدُ صَلاتُهُ، وأوَّلُ ما يُقضَى بينَ النَّاسِ في الدِّماءِ»(٣).

وقالَ الإمامُ الفخرُ في قولِهِ تَعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]: هذهِ الآيةُ تدُلُّ عَلَى أنَّهُ تَعالى يحاسِبُ كلَّ عِبادِهِ؛ لأنَّهُمْ لا يخرُجونَ عَن أنْ يكُونُوا مُرسَلِينَ أو مُرسَلًا إليهِمْ، ويبطُلُ قولُ مَن زعَمَ أنَّهُ لا حِسابَ عَلى الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ، ولا الكفَّارِ، انتَهى(٤).

(١) هذا الحديث ليس في «صحيح مسلم»، وقد رواه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٩١٥)، وأبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٩٦٥) واللفظ له، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥). وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) رواه النسائي (٣٩٩١)، وروى الشطر الثاني منه فقط البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٤/ ٢٠١).

ويمكِنُ الجَوابُ؛ وهوَ أنْ يقَالَ: لا حسَابَ عَلَى الأنبياءِ حِساب مُناقشَةٍ.

قالَ النَّسفِيُّ في «بحرِ الكَلامِ»: الأنبياءُ لا حسَابَ عَليهِمْ، وكذلكَ أطفالُ المؤمنينَ، والعشَرةُ المبشَّرةُ[1] بالجنَّةِ، هذا في حسَابِ المناقشَةِ، أمَّا حسَابُ العَرضِ فلا، وهوَ أن يُقالَ: فعلْتَ كذا وعفوْتُ عنكَ، وحسَابُ المناقشَةِ: لمْ فعلتَ كذا[2]؟

روَى الشَّيخانِ عَن عائشَةَ رضِيَ اللهُ عَنها قالَتْ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن نوقِشَ الحسابَ عذِّبَ» فقلْتُ: أليسَ اللهُ يقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قالَ: «ليسَ ذاكَ الحسابُ، ولكِنْ ذاكَ العَرضُ، مَن نوقِشَ الحسَابَ يومَ القِيامةِ عذِّبَ»[3].

قلتُ: وعَلَى هذا يحمَلُ كلُّ حديثٍ وَرَدَ في حقِّ مَنْ يدخُلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، فمِنْ ذلكَ: حدِيثُ البزَّارِ: «مَنِ ابتُلِيَ ببصرِهِ فصَبَرَ حتَّى يلقَى اللهَ، لقِيَ اللهَ ولا حسَابَ عليهِ»[4].

وحديثُ جابرٍ: «مَن ماتَ في طريقِ مكَّةَ ذاهِبًا أو راجِعًا، لمْ يُعرَضْ، ولمْ يحاسَبْ»[5].

---

(١) في (ج): «المبشرين».

(٢) انظر: «بحر الكلام» للنسفي (ص١٩٣).

(٣) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٤٣٤٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٨): رواه البزار، وفيه جابر الجعفي، وفيه كلام كثير، وقد وثق.

(٥) رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٥٥٦)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٠٦٣). وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي. قال ابن عدي: وهو في عداد من يضع الحديث. =

وحديثُ أبي أيُّوبَ الأنصارِيِّ: «طالِبُ العلْمِ، والمرأةُ المطيعَةُ لزَوجِها، والولدُ البارُّ بوالِديهِ، يدخلُونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ»(١).

وحدِيثُ عائشَةَ: «مَن ربَّى صبيًّا حتَّى يقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، لمْ يحاسِبهُ اللهُ»(٢).

إلى غيرِ ذلِكَ مِن الأحادِيثِ الَّتي ذكَرْتُها في «بهجَةِ النَّاظِرينَ وآياتِ المستَدلِّينَ»، واللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى أعلَمُ.

***

خاتمةٌ

وصفَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعَالى نفسَهُ بسرعَةِ حسابِ الخلائقِ، معَ كثرَةِ عَددِهِمْ، وكثرَةِ أعمالِهِمْ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] ليدُلَّ علَى كمالِ قُدرتِهِ، ووجوبِ الحذَرِ منهُ.

= وروى نحوه أبو يعلى في «مسنده» (٤٦٠٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٨٨)، والدارقطني في «سننه» (٢٧٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٠٨): رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفي إسناد الطبراني محمد بن صالح العدوي، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله رجال الصحيح، وإسناد أبي يعلى فيه عائذ بن بشير، وهو ضعيف.

ومحمد بن صالح العدوي كما ذكر الهيثمي لا ترجمة له في كتب التراجم، وروى عنه البزار والطبري.

(١) رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ٢٥٥)، وهو في «التذكرة» للقرطبي (ص٨٢٩)، وقال: ونقلته من الزيادات بعد الأربعين لإسماعيل بن عبد الغافر.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٦٥)، و«المعجم الصغير» (٧١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٩): وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو ضعيف. وانظر: «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (٢/ ٧٧).

رويَ أنَّهُ تَعَالى يحاسِبُ الخلْقَ في قدْرِ حلْبِ شاةٍ، ورُوِي في مِقدارِ فُواقِ ناقةٍ، ورُويَ في مقدارِ لمحةٍ، كذا حكَاهُ الزمخشرِيُّ في «تفسِيرهِ»(١)، واللهُ تَعَالى عَلى ما يشاءُ قديرٌ.

قالَ الحسَنُ: حسابُهُ أسرَعُ مِن لمْحِ البصَرِ، حكاهُ الثَّعلبيُّ عنهُ(٢).

وقالَ ابنُ عطيَّةَ: قيلَ لعليِّ بنِ أبي طالِبٍ: كيفَ يحاسِبُ اللهُ الخلائقَ يومَ القِيامةِ؟ فقالَ: كمَا يرزُقهُمْ في يومٍ(٣).

وفي الحديثِ: «لا ينتصِفُ النَّهارُ حتَّى يستقِرَّ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ، وأهلُ النَّارِ في النَّارِ»(٤).

وقدْ قيلَ: إنَّهُ سُبحانَهُ إذا حاسَبَ واحِدًا فقَدْ حاسَبَ جميعَ الخلائقِ(٥).

قالَ بعضُ العارِفينَ: مِن غريبِ حكَمِ الآخرَةِ أنَّ الرَّجلَ يُؤتى بهِ إلى اللهِ، فيُوقفُهُ، وتُوزنُ حسناتُهُ وسيِّئاتُهُ، وهوَ يظنُّ أنَّ اللهَ تَعَالى ما حاسَبَ أحَدًا سواهُ، وقدْ حوسِبَ في تلْكَ اللَّحظةِ آلافُ ألوفٍ، وما لا يمكِنُ حصرُهُ.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٤٩). وقال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ٢٤٨): قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال غيره: أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١١٧).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٧٧). وذكره التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٥/ ٢٢٥)، والماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص٢٣).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١١٧)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٤٣٥).

قلتُ: ولعلَّ السِّرَّ في هذا، وتقرِيبَهُ للعُقولِ، أنَّ مَعنى الحسابِ ما قالَ المفسِّرونَ: هوَ تعريفُ اللهِ عزَّ وجلَّ الخلائقَ مقادِيرَ الجزاءِ عَلى أعمَالِهِمْ، وتذكِيرُهُ إيَّاهُمْ ما قد[١] نَسوهُ، وهذا قريبٌ للعقْلِ جدًّا، بأنْ يخلُقَ اللهُ في قلوبِهِمُ العُلومَ الضَّروريَّةَ بمقادِيرَ مِن أعمالِهِمْ مِنَ الثَّوابِ والعقابِ في لحظةٍ واحِدةٍ، فتأمَّلْ.

والكَلامُ عَلى هذِهِ الآيةِ الشَّريفةِ مما يطُولُ، وفيما ذكرناهُ مِنْ هذِهِ الألفاظِ القلِيلةِ مَوعظةٌ للمتَّقينَ، وتبصِرةٌ للعارِفينَ، جَعلنا اللهُ تَعَالى مِنهُمْ، آمِينَ آمِينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[٢].

قالَ المؤلِّفُ[٣] الحقِيرُ مَرعيُّ بنُ يوسُفَ الحنبَليُّ المقدسِيُّ: فرَغتُ منهُ بالأزهرِ، نهارَ الأحَدِ، آخرَ رمضانَ، سنةَ ثلاثٍ وعِشرينَ بعدَ الألفِ[٤].

* * *

(١) في (ج): «بما» بدل «ما قد».

(٢) في هامش (م): «بلغ مقابلة على نسخة التأليف ونقلت منه».

(٣) في (م): «مؤلفه».

(٤) وجاء في (م): «وكُتبتْ نهارَ الثلاثاءِ، في غايةِ جمادِ الآخرِ، سنةَ ١١٤٣، بقلمِ الفقِيرِ الحقِيرِ: أحمدَ بنِ مُصطفى بنِ يوسُفَ بنِ يحيَى بنِ يوسُفَ المقدسِيِّ الحنبليِّ، غفرَ اللهُ لهُ ولوالِديهِ، ولمن دعَا لهُ بالمغفِرَةِ، ولمن نظَرَ فيهِ، ولمنْ طالَعَ فيهِ، ولصاحبِهِ ولوالديهِ، ولمشايخِنا، ولمَنْ علَّمَنا، ولكلِّ المسلِمينَ، آمِينَ.
بلغَ مُقابلةً عَلى خطِّ مؤلِفِهِ، ونقلتُ منهُ هذه النُّسخةَ، رحمَهُ اللهُ تَعَالى، آمينَ».